الأبعاد الموضوعية في شعر شعراء مدينة عسقلان (٤٠٠-٦٠٠هـ)

راية إبراهيم الخوالدة *

تاريخ وصول البحث: ١٠/٨/ ٢٠٢٢م تاريخ قبول البحث:٢١ /٩/٢٠٢٢م

الملخص

تبحث هذه الدراسة في شعر الشعراء العسقلانيين في الفترة من (٤٠٠هـ-٦٠٠هـ) مبرزة أهمية المدخل الموضوعي لفهم رؤية العسقلانيين في غزلهم ومدحهم ووصفهم وهجائهم وخمرياتهم، وغير ذلك من الموضوعات التقليدية التي يدور الشعر العربي في فلكها. ويضع البحث إطاره التحليلي لدراسة ثلاثة أبعاد موضوعية عند شعراء عسقلان فتدرس البعد السياسي، والبعد الديني، والبعد الثقافي والفكري في موضوعاتهم الشعرية، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي حيث قدمت تحليلًا يصف الأبعاد السياسية والدينية والفكرية الثقافية في شعر العسقلانيين. وبينت الدراسة في نتائجها توظيف المدح بكافة أشكاله وروابطه بالقوة والجود، وصلة الحاكم بالدين في البعد السياسي، وقد استفادت الدراسة من المنهج الوصفي التحليلي في دراسة العلاقة السياسية الدينية والفكرية الثقافية عند شعراء عسقلان.

الكلمات المفتاحية: الأبعاد الموضوعية، شعراء عسقلان، البعد السياسي، البعد الديني، البعد الثقافي والفكري

*باحثة، طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الاسلامية العالمية.

Objective Dimensions in the poetry of Ashkelon Poets (400-600H)

Abstract

This study examines the poetry of the **Ashkelon** poets in the period from (400 AH-600 AH), highlighting the importance of the objective approach to understanding the vision of the **Ashkelons** in their flirtation, praise, description, satire, and wine, and other traditional topics that Arab poetry revolves in its orbit. The research sets its analytical framework to study three objective dimensions of the poets of Ashkelon, which studies the political dimension, the religious dimension, and the cultural and intellectual dimension in their poetic themes. The study showed in its results the employment of praise in all its forms and its links with strength and generosity, and the relationship of the ruler with religion in the political domain.

Key Words: Objective domains, **Ashkelon** Poets. Political domain. Religious domain. Cultural and intellectual domain.

التمهيد:

عسقلان من المدن التاريخية التي مرّت بمراحل مختلفة ما بين الظهور القوي على ساحة الأحداث أو تراجع مستوى حضورها. وهذه القضية الشائكة سببها الصراع على هذه المدينة المطلة على الساحل الفلسطيني الذي شهد مراحل الغزو

الصليبي لبيت المقدس. وقد بقيت على مدار التاريخ هدفًا لكل من يريد أن يمكّن قوته على الواجهة البحرية المطلة على البحر الأبيض المتوسط.

تطل مدينة عسقلان على البحر الأبيض المتوسط "الذي تميز بتجانس ضفافه"[١] فهيأ إلى وجود حركة بين سكانه[٢]. وتميزت عسقلان بموقعها على الشريط الساحلي لبلاد الشام فهي من المدن المهمة التي ذكرها المؤرخون والرحالة، حيث كان الوصول إليها ممكنًا عبر البر والبحر. ووُصف موقعها بأنه أجمل مدن الساحل إذ تقع "على ضفة البحر على تلعة، وهي أجمل مدن الساحل"[٣].

ويقع بيت المقدس إلى الشمال الشرقي من مدينة عسقلان. ويذكر ابن حوقل المسافة بين المدن الفلسطينية "فالمبتدأ بفلسطين إذ هي أول أجناد الشام مما يلي المغرب وقصبتها الرملة ومنها إلى يافا نصف مرحلة ومن الرملة إلى عسقلان مرحلة ومنها إلى غزة مرحلة ومن الرملة إلى بيت المقدس يوم"[٤]. فالموقع الجغرافي في المتقارب بين المدن الفلسطينية الساحلية جعل منها مركزًا مهمًا في الحضارات والدول التي تعاقبت عليها.

واستمرت الأهمية التاريخية لمدينة عسقلان في التاريخ القديم والحديث. وما زالت المدينة قائمة إلى يومنا هذا. وقد أشار ابن بطوطة إلى أنّ المدينة قد جمعت بين بناء البر والبحر قبل أن تصبح خرابًا فقد زارها في رحلته فسافر من "القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان وهو خراب وقد عاد رسومًا طامسة وأطلالًا دارسة. وقل بلد من المحاسن ما جمعته عسقلان إتقانًا وحسنًا وروعة وأصالة مكان وجمعًا بين مرافق البر والبحر"[٥].

فمكانة عسقلان تاريخية وجغرافية وسياسية وكذلك وهو الأهم فهي ذات مكانة دينية، وقد دارت عليها أحداث جعلتها تتصدر كتب التاريخ والفتوحات الإسلامية حتى وقت متأخر من تاريخ المعارك التي خاضها المسلمون. فقد كان لهذه المدينة مكانة كبيرة في التاريخ الإسلامي. فعسقلان وأكناف بيت المقدس من الأرض

التي باركها الله في كتابه العظيم:﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَه**﴾. [الاسراء: ١].

تُعدّ مدينة عسقلان عروس الشام وقد اجتمع لها هذا اللقب مع دمشق وقد ذكرته منسوبًا لها عدة مصادر تاريخية[٦] فالمدينة ذات رخاء ومكانة مرموقة. وقد نزل بها بعد الفتح الإسلامي عدد من الصحابة ووكل معاوية أمر الرباط فيها إلى الحفظة[٧]. وساعدت الحركة الاقتصادية النشطة في عسقلان على دخول عدد من الثقافات التي رفدت الحياة الفكرية والعقلية في المدينة.

وشاع في عسقلان العلوم الدينية التي عرفت في غيرها من الأمصار العربية. وقد ساعد وجود عدد من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم- على انتشار علم القراءات حيث أخذ أهل عسقلان والساحل الفلسطيني القرآن عن الصحابة الذين تلقوه مشافهة من رسول الله ﷺ أو ممن كانوا قريبي العهد بنزول القرآن الكريم. ومن أهل القراءة والإقراء "محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسين الملطي الشافعي، فقيه مقرئ، متقن ثقة أخذ القراءة عرضًا عن ابن مجاهد، وابن الأنباري... كان كثير العلم والتصنيف في الفقه"[٨]. فالقراءات والفقه الإسلامي وغيرها من العلوم الدينية كانت شائعة في البلدان الإسلامية.

وإذا ذكر علم الحديث فإن ذكر عسقلان يلمع نجمة في ذكر "الإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره"[٩].

فالحياة الأدبية في عسقلان اتصلت بالحال السياسية والاجتماعية التي عاشت المدينة أحداثها وازدهرت في عسقلان الحركة الأدبية في العهد الفاطمي الذي حكم عسقلان فترة زمنية طويلة سواء في النثر[١٠] وفي الشعر الذي نافسته الكتابة

وحاولت أن تتفوق عليه في القرنين الخامس والسادس الهجريين. وقد رأى محمد زغلول سلام أن شعراء هذين القرنين من الطبقة المتوسطة.

وقد قدم كل من محمود عبدالرحيم صالح وعبدالحليم الهروط تحقيقًا لباب شعراء عسقلان في خريدة القصر وجريدة العصر. وترى الباحثة أن هذا المصدر قد وفر لها مادة مهمة تعين في دراسة شعر عسقلان الذي برزت فيه مجموعة من الأسماء التي تناولت موضوعات وقضايا عديدة. ومن أولئك الشعراء أبو علي الحسن بن أبي الشخباء ومن شعره الذي فيه حكمة وتبصر(١١).

إنّ الشجَاعَ يزيدُ في

إقدامِهِ موتُ الجَبَان

لا تُلق رحلكَ في فنا

ء مذلةٍ فالعمرُ فانِ

فالحكمة ظاهرة في هذه الأبيات، وهي تدعو إلى القوة والإقدام والحفاظ على كرامة الإنسان. ومن الشعراء أيضًا المعتمد العسقلاني، ومن شعره(١٢).

ساروا فسارَ الغمضُ عن ناظري

وخيمَ الفكرُ بأسراري

كأنّما قلّدني في الدُجى

عرضَ نجومِ الفلكِ السّاري

ولمْ يدَعْ لي جاريًا غيرُ ما

قرّره منْ دمعيَ الجَاري

وتغلب على هذه الأبيات فنيات بلاغية ذات جرس موسيقي يناسب غرض الشاعر في الغزل اللطيف وستقدم هذه الدراسة بحثًا في الأبعاد الموضوعية للشعر العسقلاني في القرنين الخامس والسادس الهجريين؛ لتوضيح طبيعة الحركة الأدبية حول القضايا التي شغلت تلك الفترة، وستبحث أيضًا في القضايا الفنية وتحليلات تلك الجوانب التي تعطي فرصة للحكم على جمال الشعر وقيمته الفنية.

المبحث الأول: البُعد السياسي:

تُعدّ الحياة السياسية في عسقلان تبعًا للحياة السياسية للخلافة الفاطمية في مصر التي "بدأت حملات الفاطميين على حدود مصر الغربية منذ أيام خليفتهم الأول عبد الله المهدي. ويلاحظ أنّ هذا الغزو يعتبر فريدًا في نوعه؛ لأنّ مصر كانت دائمًا تُغزى من الشرق عن طريق غزة ورفح"[١٣].

وعندما استولى الفاطميون على مصر (٣٥٨هـ) فإنّ عيونهم تطلعت إلى الشام، و"جهز جوهر الصقلي جيشًا بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي، وكلفه بالتوجه إلى الشام"[١٤]؛ لأهمية الشام بالنسبة لمصر[١٥]، فهي تعتبر العمق الإستراتيجي لمصر عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا.

وقد أدت طبيعة الحياة السياسُية إلى مشاركة الشعراء في الحديث عن الحياة السياسية سلبًا وإيجابًا فهناك من وقف مع رجال الدولة يبين أهمية أعمالهم، ويمدحهم حيث وجدنا المديح المنصة الإعلامية القديمة لبيان أهمية السياسات التي يقوم بها رجال الدولة في سياستهم لشؤون البلاد والعباد، وتدبيره لأمورها، وكذلك في حروبهم وقوتهم التي تعني قوة الدولة، وبيّن شعر الهجاء موقف الشاعر العسقلاني من السياسة عندما تناول الشخصيات السياسية بالنقد والهجاء، وقد ربط ذلك ببعض الأبعاد الدينية والصفات الشخصية الفذة، وبذلك فقد وجد الشعر السياسي بيئة خصبة أدت إلى ازدهاره ونموّه في جانبه المدحي والهجائي.

ولم يخلُ الأمر من انتقاد الحياة السياسية حيث ظهر عند شعراء عسقلان لونٌ من ألوان الهجاء الذي يتعرض إلى السياسيين ورجال الدولة وبذلك يكتمل المشهد السياسي بين الموالاة والمعارضة أو بين الموافقين لسياسات رجال الدولة والرافضين لها؛ فالبُعد السياسي في الشعر جزء مهم يفسر لنا مواقف الشعراء من الأوضاع السياسية التي يمثلها رجال الدولة والسياسة. فوصف الشعراءُ مواقفهم تجاه القضايا والشخصيات التي وردت في أشعارهم.

ويصف ابن أبي الشخباء[١٦] صارم الدولة ابن معروف صاحب عسقلان بحسن التدبير في سياسته التي يقود بها أمور البلاد، وينعم عليه بمديح تبرز فيه المقومات الخاصة بسياسة الفاطميين الذين اتخذوا المذهب الشيعي "فالدولة الفاطمية دولة شيعية إسماعيلية قامت في المغرب، واستطاعت أن تمد نفوذها من القاهرة إلى معظم بلاد الشرق العربي"[١٧]، ويتناول ابن أبي الشخباء مقومات السياسات الفاطمية، حيث يصف صارم الدولة بثباته عليها وإقامته حدودها حينما ضلَّ عنها غيره[١٨].

كَأَنَّكَ حِينَ ضَلَّ النَّاسُ عَنْهَا
هُدِيتَ إِلَى رِضَى هَادِي الدُّعَاةِ
مُزِيلُ الْمَالِ مِنْ مُلْكِ الأعادي
وَنَاظِمَ شَمْلِهِ بَعْدَ الشَّتَاتِ
سَيَنْطِقُ بِالثَّنَاءِ عَلَى عَلِيٍّ
وَعِترتِهِ الْمَنَابِرُ صَامِتاتِ
فَقَادَ لَهُ إِلَى بَغْدَادَ قُودًا
تَجَلَّى لَحْمُهَا جَنْبَ الْفَرَّاتِ

فصارم الدولة موصوف بالثبات على الدعوة الفاطمية التي ينصرها دون أن يغتر بمن ضل عنها، فابن أبي الشخباء يمدحه بوصفين، أولهما: صفة العلم والمعرفة التي تؤهله؛ ليكون من رجال المذهب الفاطمي، والثاني القوة والشجاعة التي تؤهله أيضًا ليكون قائدًا تستند إليه المهمات العظيمة.

ويحدثه بأنه استطاع أن يحصل على رضا هادي الدعاة، ويمثل الإمام في معتقد الإسماعيلية "قمة الدعاة، فله رتبة الأمر والسياسة للأمة التي هو بعض منها"[١٩] وحصول صارم الدولة على منزلة رضا الإمام هادي الدعاة تعطي شرعية دينية لسياسته؛ لأنّه يؤدي وظيفة الإمام التي اختارها له، فهو ينفذ أمر "القيادة

العليا المطلقة، فهي أعلى سلطة، وأرفعها في الدعوة وهي مصدر كل قانون أو تنظيم أو تشريع"[٢٠].

لقد بين ابن أبي الشخباء سياسة صارم الدولة التي تقوم على عمل رشيد وفكر سديد، وتأتي أعماله كلها في تحقيق المصلحة السياسية للنظام الديني والسياسي الذي يخضع الأعداء ويقهرهم انتصارًا لأهل البيت، والقدرة التي يرى فيها المتشيعون وصاية عليّ -كرم الله وجهه- على الحكم، وأحقية عترته من بعده.

يؤكد ابن أبي الشخباء أهمية موضوع الخلافة التي تقوم بها الدولة الفاطمية؛ فهي التي تسد الفراغ الذي بحث الشيعة عن ملئه، فقد "صمم الشيعة من البداية على التمسك بأحقيتهم في قيادة العالم الإسلامي سياسيًا ودينيًا، واعتبروا ذلك حقًا شرعيًا لهم لا بد أن يصلوا إليه"[٢١].

وفي هذا الاتجاه يبين الشاعر دور صارم الدولة في تحقيق الهدف الذي تنشده الدولة الفاطمية في إحياء ذكر عليّ بن أبي طالب –ركم الله وجهه- وعترته على المنابر، إشارة إلى الدعاء المتصل بالإمام صاحب الوصاية المطلقة.

فالشاعر العسقلاني يتخذ من المديح طريقًا يصل به إلى غاياته السياسية، ونشر أفكاره التي يؤمن بها. ويوثق ابن أبي الشخباء الصلة القوية بين السياسة والقوة العسكرية. ويرى أنه سعى إلى وصف صارم الدولة بالتدبير السياسي المتصل بالبُعد الديني والقوة العسكرية القادرة على حفظ التوازن السياسي والاقتصادي.

وبالأسلوب ذاته يهنئ الوزير ابن المغربي[٢٢] بمعاركه، وفتوحاته التي حقق فيها انتصارات تبين أهمية هذا الرجل عسكريًا وسياسيًا، ويصفه بالقوة والشجاعة والإقدام وحسن السياسة في إدارة المعارك[٢٣]، حيث يقول:

مَا زالَ قَائدَ كَتبةٍ وكتيبةٍ

بأصيلِ رأيِيْ مُنصلٍ وفؤادِ

شَهمان مِن قَلمٍ ومِنْ صِمصَامةٍ

شُهِرا ليومِ ندىً ويَوم جلادِ

فسياسة ابن المغربي تعتمد على قطبين من القوة وأصالة الرأي؛ فالقائد ليس مجردًا من المعرفة والحكمة؛ لأنّ القوة مهما عظمت تحتاج إلى حسن التدبير في سياسة الأمور وتدبيرها.

وتتضح هذه الفضيلة في وصفه لابن المغربي بأنه قائد علم ومعرفة بقلمه الماضي بالحكمة وسدادة الرأي كقوته وشجاعته التي قاد بها الكتائب نحو النصر، فالقلم والسيف مشهدان في وجه الأعادي والمتربصين به.

لقد وفق ابن أبي الشخباء في هذا الوصف الذي يكشف عن بُعد سياسي لا يتخذ من القوة العسكرية وسيلة وحيدة لإبراز الذات وشخصية الدولة، فالقادة العسكريون الذين يمدحهم يتصفون بحكمة مستمدة من العلم والمعرفة والتجربة يصرفون بها الأمور، ويسوسون بها الحكم؛ مما يساعدهم في إحراز المكاسب والانتصارات بالقوة والحكمة.

ويمدح الشاعر العسقلاني أبو محمد عبدالله بن أحمد بن خليل بن أبي سنان عسقلاني الدار[٢٤] جمال الملك بن عمار[٢٥] مبينًا قوته التي تحمي الثغور والحدود، وتحمي كل ما هو على الأرض، فحتى الورود تحتمي بوجوده مما يدل على حسن سياسته في تصريف شؤون البلاد والعباد[٢٦].

وبَدْرٌ تَمَامٍ باتَ يَمْنَعُ دَلّهُ

ويُرْهِفُ سَيفًا بين جَفْنيْهِ سَلَّهُ

ويَحمي بُرَادَ الأقحوان وطَلَهُ

ويَشْربُ ما تَسْقيْكَ عيناهُ مِثْلهُ

ففي هذين البيتين نجد أنّ الشاعر قد وصف بهما ساقي الخمر الذي يدفع عن نفسه بسيف الجفنين، وسياق هذه القصيدة المديح الذي يجعلنا نربط بين الدلالة المجازية للقوة الموصوفة بالدلالة الحقيقية لقوة الممدوح وحسن إدارته، وليس غريبًا أن تُذكر الخمرة ومجالس شربها في المديح.

كما تبرز طرافة القاضي أمير الدولة في العلاقة بين قوة الساقي المجازية وما تدل به على القوة التي يتصف بها الممدوح في حُسن السياسة والتدبير.

وفي اتجاه مشابه في الطرافة نجد أيضًا الهجاء السياسي الذي يبين فكرًا مقابلًا ومعارضًا لسياسة أحد الوزراء، فهذا المكربل العسقلاني أبو علي حسن بن سعيد[٢٧] يهجو أحد الوزراء ويبين سوء سياسته وإضعافه للحكم وضعف من يساعده[٢٨].

إنَّ الشَّرِيْعَةَ قدْ وَهَتْ أقْسَامُها
وَتَغَيّرَتْ للنقْصِ أيَّ تَغَيُّرِ
بِوِزَارَةِ اِبْنِ أُسامةٍ وَخَطَابَةَ ابـ
ـنِ قَتَادَةً، وَشَهَادَةِ اِبْنِ مُيَسَّرِ

يقدم هذا النص - على الرغم من قصره- معلومات مهمة حول الحياة السياسية التي شارك العسقلانيون فيها، فإذا كان بعض الشعراء مؤيدًا ومادحًا لسياسات الوزراء والقادة فإن هناك من بين العسقلانيين من كان معارضًا ورافضًا لسياسات بعض المسؤولين، والشاعر المكربل لم يتوانَ في أن يسجل أسماء المسؤولين حيث جمع ثلاثة منهم بوظائفهم التي يقومون بها منتقدًا أعمالهم، ومبينًا دورهم في تشويه الحكم الذي رمز له "بالشريعة" التي ضعفت وتغيرت بوجودهم.

ويُذكر في الخريدة أنّ المكربل " كان لسان مقراض الأعراض.. بلغ المائة من العمر، ولم يسمع له في المديح إلا نزر، ولا قبل من أحد جائزة، ولا امتد أمله لنيل رغبة"[٢٩]. وله هجاء شديد الوقع سيئ اللفظ لا يتورع فيه من ذكر المهجوّ بأشد الألفاظ والعبارات فداحة[٣٠].

وقد أثبتت الباحثة هذا النص؛ لأنّها ترى فيه أهمية تخدم الفكرة التي تدل على الهجاء السياسي أو الهجاء الرافض لسياسة بعض المسؤولين، فالشاعر لم

يكن من الشعراء المتكسبين؛ لأنّه كما يذكر النص لم يقبل جائزة أو أعطية من أحد، وقد تقدم به العمر فلم تعد له رغبة في شيء من زينة الحياة.

وعندما يكون الشاعر حرًا متجردًا من الأعطيات والرغبات فإنّ لسانه يكون أقوى وأمضى في الحديث عما يريده فابن أسامة صاحب الوزارة وكاتب الإنشاء[٣١] والفقيه الخطيب ابن قتادة[٣٢]، والمؤرخ ابن ميسر[٣٣] كلهم أساؤوا في نظر المكربل للحكم والشريعة، فهو يرى فساد سياسة الوزير الكاتب والخطيب الناطق والمؤرخ الشاهد، فسياستهم جميعهم لم تكن موفقة، كما أنّ تقبل أفراد المجتمع لم يكن على وتيرة واحدة في الموافقة والمخالفة.

وقد حاولت الباحثة أن تعبر عن موقف تصف فيه أنّ النظرة إلى السياسة بالسلب أو الإيجاب قد تكون أيضًا تابعة لرغائب النفس، فلا يعني أن عدم تقبل الشاعر للهدايا والعطايا أنّه يتصف بالحياد، فقد تكون لديه رغبات داخلية في انتقاد الآخرين، والأمر هنا ليس على سبيل الظن وإنما هناك فيما ذكره الأصفهاني ما يدل على خلافات بين المكربل ومن هجاهم، فقد كانت بينه وبين ابن قتادة هجاء شديد الإنكار[٣٤]؛ فالرغبة – فيما أرى- لا يشترط أن تكون ذات صلة بالعطاء وإنما قد تكون لأغراض نفسية خاصة ومشاحنات بين الفرقاء.

لقد مثّل المكربل صورة للمعارضة السياسية أو الرفض لما يقوم به بعض كبار الدولة، وكان صريحًا مباشرًا في إنكار أفعالهم وفساد سياستهم التي تأثرت بها الحياة والحكم، وكشفت عن نقص في حسن التدبير والإدارة لشؤون الحياة والسياسة.

وبالعودة إلى الجانب السياسي المؤيد للحكم ورجاله نجد أن الشاعر العسقلاني القاضي أمير الدولة يمدح صارم الدولة ابن معروف صاحب عسقلان بقوله[٣٥].

كَمْ بَيْنَ أكنافِ الحِمى

دَمَاَ أراقَتْهُ الدُّمى

ذُوْ راحةٍ يُجِيْلُ فيْ
ها ذابلًا وقَلمَا
يَرَاعَتانِ تُوليَا
ن نِعمًا ونِقمًا
تلكَ إلى الخَطِّ اعْتزتْ
وَذَا إلى الحَظِّ انْتَمى
كمْ مَوقفٍ يَخْضبُ فيْ
هِ البَاتِراتِ عَنْدَمَا
تأخَّرتْ كِتْمانُهُ
وكَانَ فيْه المُقْدِمَا

يدل البيت الأول على التمهيد للمديح الذي يجعله الشاعر مدخلًا لبيان صفات صارم الدولة، وهو يشبه المثال السابق له حينما افتتح مديحه بالخمر ومجلسها، ويشير الشاعر إلى مصدرين من مصادر قوة صارم الدولة فالأول تمكنه من القلم والثاني قدرته وقوته وشجاعته المتمثلة بالسيف، وهذا يدل على أهمية أن يكون القائد من أهل العلم والدراية والمعرفة، ولا يقبل في السياسة الرشيدة أن يكون فاقدًا لواحد من عنصري الحكمة والقوة.

وترى الباحثة أنّ القاضي أمير الدولة وابن أبي الشخباء قد حرصا في مدحهما على هاتين الفضيلتين القلم والسيف، وهذا يبين لنا طبيعة الصفات الشخصية والعلمية التي يجب أن يتمتع بها رجال الدولة والسياسة.

ويشير القاضي أمير الدولة في الأبيات السابقة إلى أهمية هذين الجانبين في شخصية صارم الدولة صاحب عسقلان فهو يصنع من حكمته قوة لسيفه؛ لأنّه يعلم متى يدبر الأمر بالحكمة أو بالقوة.

ويتابع في مدحه وبيان سياسته التي تتمتع بإرث راسخ الجذور في أسرة عريقة تعرف كيف تسوس الحكم بدراية وقوة، فهو من قوم لا تزل نفوسهم إلى الأمور

الدنيئة، ولا ينازلون إلا الفرسان الشجعان، ولا يأخذون في أسرهم الضعفاء والجبناء[٣٦].

منْ أُسرَةٍ لَمْ يأسِروا
في الحربِ إلا إلهُما
إن وَهبُوا فاضُوا حيَاَ
أو ركبوْا أجْروا دَمَا

ففي هذين البيتين يصف الشاعر حسن التدبير في السياسة بأنه قائم على تاريخ في عائلة صارم الدولة، فهم أهل حرب وأهل جود وكرم، وعندما يتحدث الشاعر عن تاريخ الأسرة فإنه يحاول أن يعطي شرعية تاريخية للقائد؛ لأنّه من بيت عريق في السياسة والحكم، وتعني هذه الصفات المتوارثة أنّ القائد قد تربى عليها وأصبحت فيه من السمات الشخصية التي توارثها عن أسلافه.

يتجاوز ابن أبي الشخباء مدح الصارم وسياسته إلى أفق أكثر بُعدًا عن واقع السياسة الحالية حيث يمكن تسمية هذا النوع من المديح بالسياسة المستقبلية التي يرجو فيها الشاعر أن يبقى القائد ذخرًا للمستقبل كي يوفر لهم الأمن والحماية من أخطار الحياة[٣٧].

يا صَارِمَاَ نَشِيمُه
إذا خّشينْا الزّمَنَا
تَجْري عَلى مِقدار مَا
تَهوَى المَنْايا والمُنّى
لا زِلتَ مخْفُوض العِدا
مَا عِشت مرفُوْع البُنَا
تُفْدى بِنَا إنْ كانَ يَرْ
ضَى المَجْدُ أنْ تُفدّى بَنَا

خاطب ابن أبي الشخباء صارم الدولة بخطاب الشعراء للملوك والحكام، ويتوسم في سياسته الصلاح للحاضر والمستقبل؛ لأنّها سياسة تقوم على حكم رشيد، وصفات حميدة متوارثة، وتجمع بين الحكمة والقوة. ويفتدي الشاعرُ صارمَ الدولة بنفسه؛ لأنّه يراه صمام الأمان للمستقبل، فوجود القائد يعني بالنسبة إليه استمرار الحكم الرشيد، وأنه قائد يستطيع أن يحفظ للرعية أمنها وقوتها.

يرى ابن أبي الشخباء أنّ القائد الذي يكون بصفات صارم الدولة سيزداد بنيانه وتنخفض قوة أعدائه؛ لأنّ حكمه يقوم على العدل والسعي لزيادة البنيان الذي تتمناه الرعية، والقائد تحبه رعيته قائد لا ينهزم ولا يتفوق عليه أعداؤه؛ ولذلك فإنّ أعداء صارم الدولة لن ينالوا من قوته وعزيمته؛ فسياق المديح يظهر مكانة القائد المقدام عند رعيته، ويبين دوره في حماية قومه وإبراز منعتهم وقوتهم، ويقوم الأسلوب المدحي على توازن بين الأفعال التي يقوم بها الممدوح وصفاته، فإذا كان قد أزال عدوه بقوته وشجاعته، فإنه قد كسب قلوب قومه بحسن سياسته وتدبيره وحمايته لهم من مخاطر الأعداء.

لقد سعى الشعراء إلى إثبات أهمية الدور الذي يقوم به القادة في السياسة والحكم، وقد أظهروا ذلك عبر مديحهم للقادة، وحديثهم عن صفاتهم التي يتمتعون بها من علم وحكمة ومعرفة، وما يجمعونه إليها من قوة ودراية بأمور الحرب.

كما أن النقد السياسي أو الهجاء لبعض رجال الدولة والسياسة كان قائمًا على أساس احتقار الشاعر لضعف السياسي أو المسؤول، في إدارة شؤون الدولة، وفي معرفته في شؤون الحكم، والعلوم التي تخص الوزراء والمسؤولين، كما ظهر ذلك عند الشاعر العسقلاني المكربل.

لقد كان المديح والهجاء هما العنصران اللذان ظهرت فيهما توجهات الشعراء نحو السياسة، وترى الباحثة أن ذلك يعود إلى موقف الشاعر، ولم تكن تدخلات

الشعراء عميقة في شؤون الحياة السياسية ولكن ظهرت هذه الإشارات بوضوح في أشعار المدح وقليلًا في الهجاء كما وجدناه عند المكربل العسقلاني.

المبحث الثاني: البُعد الديني

هناك علاقة بارزة بين الثقافة الدينية والتفكير الإنساني؛ لأنّ أثر الدين على الفكر يغير أسلوب الإنسان وأنماط حياته على صعيد الأخلاق والمعاملات وأيضًا على صعيد التفكير والإبداع. ونستدل بتأثير الإسلام على الشعراء الذين دخلوا في رحابه فتغيرت بعض موضوعاتهم، ودخلت في أشعارهم مضامين شعرية جديدة، وصار الشعر "سلاحًا لنشر الدعوة والذود عنها والتغني بانتصاراتها"[٣٨].

وظهرت في أشعارهم المعتقدات الدينية، والعبادات والفضائل والأخلاق، وابتعد الشعراء عن المبالغات في المدح، وتركوا الكذب والتزموا الصدق الذي يُعدّ من أهم المظاهر الشعرية[٣٩]. وقد تأثرت العديد من الموضوعات بالنزعة الدينية، فالصورة الشعرية والألفاظ والأفكار تأثرت عند كثير من الشعراء بالبُعد الديني[٤٠].

وبعد أن مضت الفترة الأولى من الإسلام بقي التأثير الديني في نفوس الأدباء والشعراء. وتأثرت لغتهم بألفاظ العبادة وأماكنها. وترى الباحثة أن كثيرًا من الأفكار والمشاعر عبّر عنها الشعراء بواسطة معرفتهم الدينية. فقد وظفوا معارفهم الدينية في التعبير عن أفكارهم. فالبُعد الديني قد يكون في مضامين دينية ظاهرة تذكر العبادة أو الأماكن الدينية بأسمائها، وقد يأتي التأثير الديني بتصوير الشاعر لأفكاره في ضوء معارفه الدينية.

وسنجد في البُعد الديني عند شعراء عسقلان تأثرًا دينيًا أبرزه الشعراء في أشعارهم، يؤكد أن تأثير الدين في النفوس لم يكن وليد لحظة زمنية وانقضى، بل إنه مستمر عبر العصور والأجيال، له حضوره الكبير في نفوس الشعراء في مختلف الموضوعات والقضايا.

يتحدث ابن أبي الشخباء عن مشعر مِنى فاطنًا إلى جمالية الجناس بين منى المكان في مكة المكرمة، والمنى الذي يأمله الشاعر من لقاء نازلي منى، حيث يأتي

المكان المقدس موظفًا في غزله، ويشير إلى نسك رمي الجمرات، موظفًا له في وصف محبوبته التي ترمي بسهام الجفن بإتقان، يفوق رمي الفارس المظفر الذي لا يخطئ في رميه[٤١].

هَلْ أنْتَ أدْركتَ المُنَى
مِنْ نَازِلِي خيْفِ مِنَى[٤٢]
غيد غُمِدنَ في المُلا
ء وانتَضَيْنَ الأعيُنا
صَوارمًا قَدْ جُعلتْ
لَها القلوْبُ أجْفُنا
مَنْ كلِّ مُضنٍ وَهْوَ مَكْ
حُولُ الجُفوْنِ بِالضنّا
مُظّفرِ السّهمِ وما
رَمَى ولكن ما رَنَا
سُبْحانّ من أنبتَ في الـ
ـكُثبانِ تلكَ الأغْصُنا
ومَنْ أبَاحَ في حِمَى
حَرِيْمهِ أنْفُسَنَا

في هذا النص الشعري استغلال من الشاعر للبُعد الديني[٤٣] الذي يحظى به المكان المقدس؛ فساكنو جبل مِنى فيهم غيدٌ سحرن الشاعر، فأصبحن له كل ما يتمناه من التماس الجمال الذي افتتن به؛ فوصف جمالهن ولباسهن وصفًا يعبر عن جمال فتان، استشعر فيه قداسة المكان وحرمته التي وظفها في بُعد ديني ذكر فيه المكان المقدس فكأنه يعبر عن جمال مقدس لا يُكتشف بسهولة لحرمة الجمال ذاته، فهؤلاء الفتيات يلبسن الملأ غير مظهرات لجمالهن سوى ما بدا للناظر من جمال العيون الساحرات.

ويصف الشاعر تأثير جمالهن على القلوب التي تعلقت بتلك العيون فغدت مكلومة بسهام العيون أو العيون سيوفًا صارمة تقطع القلوب، وفي حديثه عن السيوف ورميها للقلوب يجذب الشاعر المستمع إليه نحو شعيرة رمي الجمرات.

ويستلهم علي بن الحسين بن بلبل العسقلاني(٤٤) دلالات "نضرة النعيم" التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٤]، مادحًا وجه من يصفه مصورًا حسنه بتلك النضرة التي تكون جزاء للمحسنين(٤٥).

تَعْرفُ في وَجهِهِ إذا ما

رَأيتهُ نَضْرَةَ النعيمِ

كأنَما صِدْغهُ حباب

بتّ له ليلة السَّليم

وَلي غَريمٌ لَوى دُيُوني

لَيْت غَرامي عَلى غَرِيمْي

فقد وصف الشاعر حسن الوجه بأوصاف انتقاها من الوصف الديني الذي يبين حسن الوجوه يوم القيامة، بعد أن يعرف الأبرار مصيرهم وما ينتظرهم جزاء، فالشاعر قد عمق أخذ المعنى من معرفته الدينية، التي وظفها توظيفًا يتناسب مع وصف الجمال الذي يريد أن يفسر لنا سبب تعلقه به.

والبُعد الديني في المثالين السابقين يدور في موضوع الغزل الذي تتعلق القلوب به. والأثر الديني فيه جمال يجذب النفس ويجعلها تتعلق بما فيه، في وصف القضايا والموضوعات التي تتحدث عنها؛ لما فيها من تقارب أو لما في البعد الديني من نماذج جمالية تعبر عن أرقى معاني الجمال.

ويوظف ابن أبي الشخباء صفة العدل التي هي جزء من الأخلاق والصفات الدينية التي يكتسبها الإنسان في حياته، والعدل أيضًا من نماذج الصفات الإنسانية عمومًا؛ لأنها تحفظ حقوق الآخرين، وتضمن عدم التعدي والتجني

علیهم، وفي حديث الشاعر عن الغرام الذي سبب الفراق بينه وبين من يحب، يبين أنّ السبب في ذلك اختفاء صفة العدل من الناس الذين ارتحلوا عن المكان(٤٦).

مَا أنْصَفَ الجِيرانُ إذْ حَمَّلوْا

ثقْل الغَرَامِ عَلَيْكَ واحتْمَلُوا

وَلَوْ أنّهمْ فِي حُكْمِهِمْ عَدلُوْا

كَانُوا عَنِ العَادَاتِ قَدْ عَدْلُوا

نجد في هذين البيتين جمالًا شعريًا بين كلمتي (عدلوا- وعدلوا) في جمال رد الصدر على العجز والذي سبق في البيت الأول بين (حملوا واحتملوا)؛ فالشاعر يريد أن يعبر عن شدة الغرام وثقله الذي حل به، ولكن الناس من حوله حملوه ذلك الثقل فيما يشبه الرحيل إذ إنهم احتملوا أثقالهم كمن يحمل الأثقال على الجمال بغية السفر والرحيل، والشاعر في هذا الموقف يصف غياب صفة العدل عنهم، ويستخدم الجناس اللفظي بين (عدلوا/عدلوا) مبينًا في عدلوا الأولى معنى الإنصاف وفي الثانية معنى الترك فهم لم يعدلوا في حكمهم ولا يغيروا ما فعلوا.

ويدعو الشاعر لمن يتصف بالعدل من الحكام؛ لأنه يطبق ما أمر الله ﷻ به؛ فالحاكم العدل يجعل من الحياة روضة خضراء، وحدائق غناء يعيش فيها الناس بسرور؛ لأنّهم يرضون بما قسم الله لهم، ويجدون أنفسهم متساوين مع غيرهم دون أن يكون لأحد سلطة يظلم بها غيره(٤٧).

حميتَ حريمَ المالِ من سطوةِ الندى

وغاضتْ وحاشاها لديكَ العوارف

وكم عزمةٍ في الشكر كانت قويةً

فأضعفها إحسانُكَ المتضاعفُ

رعى الله من عَمّ البريةَ عدلُهُ

فأنْصِف مظلومٌ وأومنَ خائفُ

له مِنَنٌ في حربِ خطبٍ معاطفُ

دماثٌ وفي صدرِ الخطوبِ عواطفُ

فالبُعد الديني يدخل في موضوع المدح؛ لأنّ الشاعر يمدح محاسن الأخلاق، ونماذج الصفات التي يجب أن يكون عليها سائس الرعية، وهي صفات مستمدة من القيم الدينية الحميدة فيدعو الله جل وعلا أن يحفظ المتصف بالعدل؛ لأنّه من أهم الأركان التي يحتاجها الرعية فلا يظلم عنده ضعيف ولا يخاف الدخول في حماه أحد من الناس.

ويصف ابن أبي الشخباء موضوعًا دينيًا يتصل بإيمان الإنسان بالقدر خيره وشره وهو أحد أركان الإيمان مشيرًا إلى أهمية قناعة الإنسان بما يحدث له في هذه الدنيا، وأن أمره عرضة لكل احتمال؛ فالدنيا دار ابتلاء واختبار، وفي ذلك يقول(٤٨):

ومن لم يسلِّم للنوائبِ أصبحتْ

خلائقه طرًّا عليه نوائبا

يلاحظ في هذا البيت سمة دينية تبين ما يجب على الإنسان أن يكون عليه، كما أنه يبين عمق الإيمان بالقضاء والقدر من ناحية الرضى بما هو مقدر للإنسان، وفيه أيضًا بُعد نفسي يتصل بالبُعد الديني حيث إنّ الإنسان الذي يرفض أن يسلم للقدر ونوائبه سيجد كل فعل نائبه تصب فوق رأسه، فلا نجاة من النوائب إلا بالتسليم الصادق لحكمة لا يعلمها الإنسان في حينها، فاللغة الشعرية تكشف علاقة الإنسان النفسية بالفكرية وتتبين العلاقة الدينية بوضوح في تفسير الارتباط الوثيق بالبعد الديني الذي يعبر عن رؤية الإنسان للحياة بكل تفاصيلها.

ويوضح ابن أبي الشخباء نظرته الدينية العميقة في وصفه لما قد يحدث للإنسان من مصائب ومصاعب في حياته، فالظلم الذي يتعرض له في حياته لن يدوم، والظالم لن يبقى في قوته؛ لأنّ الزوال هو النهاية المحتومة التي تنتظر كل شيء في الحياة، ويشير أيضًا إلى أنّ الظلم لن تدوم أيامه ما دام أنّ هناك من

الجنود من يصوبون رماحهم وسهامهم في وجوه الظالمين؛ فالفتح الآن يزيل كل ظلم سد الطريق في وجوه الضعفاء[٤٩].

ما طال بغيٌ قطُّ إلا غادرت

فَعَلاتُهُ الأعمارَ غيرَ طوالِ

فتحٌ أضاءَ به الزمانُ وفتَّحتْ

فيه الأسنةُ زهرةَ الآمالِ

وهذا الموقف يدل على الإيمان الراسخ بأن الأيام لا تدوم على حال، والشاعر في هذا الموقف ليس مستسلمًا للظلم متوقعًا انتهاءه عبر الزمن، فهو يشير إلى أهمية القوة في مواجهته والدفاع عن النفس، فالفتح الذي يقضي على الظلم يحتاج إلى جهاد ومثابرة وعزيمة قوية تأبى أن تستسلم للظلم.

ولذلك ترى الباحثة أنّ الشاعر في المواقف السابقة من الإيمان بالقدر ورفض الظلم كان معبرًا عن موقف مستمد من الدين، لأنّ التسليم بالقضاء والقدر والصبر عليه، ومعرفته للنهاية المحتومة للظلم تعبر عن طمأنينة في النفس، وسلامة في الفهم الصحيح لمعنى الإيمان، فالتسليم للقضاء لم يجعل من الشاعر شخصًا ضعيفًا حيث إنه يثور في وجه الظلم، ويجد أن الرماح والقوة هي التي تساعد في القضاء على الظلم ورده عن المجتمع.

ومدينة عسقلان بظروفها السياسية وموقعها الجغرافي كانت من المدن المهمة التي مرت عليها العديد من الأحداث التي شاهد أهلها الظلم والاعتداءات التي وقعت على تلك المدينة، فهي إحدى مدن الثغور على الساحل المطل على البحر الأبيض المتوسط، وذلك يمكننا من فهم رفض الشاعر العسقلاني للظلم وإيمانه الراسخ بأنّ الظلم سينتهي وتنقضي أيامه، وأنه لا بد من مواجهته وإعداد العدة الملائمة للقضاء عليه، فهي عقيدة راسخة وتجربة ذاق العسقلانيون مرارتها، ووجدوا أنها مرارة لا تدوم ما دام هناك إصرار وعزيمة للقضاء على الظلم ومحو آثاره.

والصوم من العبادات التي ينتظرها المسلمون، ويترقبون قدومها في كل عام، فهو فريضة من الله ﷻ تنزل فيها الأنوار وبركة القرآن الذي نزل فيه ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويرد في شعر ابن أبي الشخباء ذكر هذا الشهر المبارك والقرآن الذي أنزل فيه مبينًا أهميته في تنزل الأنوار والبركات، كما أنه ينتهز فرصّة قدوم الشهر للمديح بقوله(٥٠):

وقد زار شهرُ الصومِ رَبْعَكَ صابحًا
له بأفاويق السعودِ وغابقا
تُنوّرُ بالقرآنِ أسداف ليله
يبيضُ منها كلُّ ما كان غاسقا
تأرَّجُ من تقواك فيه لطائمٌ
يظلُّ لها عرنينُ عامِكَ ناشقا
فعشْ أبدًا ما شوهد الأفقُ أورقًا
وراح قضيبُ الأيكِ اخضر وارقا

يُعدّ الصوم ركنًا من أركان الإسلام، والشاعر يبشر ممدوحه بقدوم هذا الشهر في أول صبيحة من أيامه الكريمة، ويستذكر ما في هذا الشهر من فضائل وكرامات، تجلب السعد والسرور على البلاد والعباد، فهذا الشهر المبارك شهر عطاء وعبادة؛ تنزل فيه القرآن يومه صيام وليله تلاوة وقيام، ويشير الشاعر إلى ذلك المعنى بالنور الذي يملؤه ذكر القرآن الكريم، فتتحول أسداف لياليه وظلمتها إلى أنوار تزيل كل ظلمة ويحل مكانها النور والضياء.

والبُعد الديني يأتي في موضوع المدح الذي يبدو فيه أنّ الشاعر يمدح حاكمًا وربما أنه مدح لصارم الدولة صاحب عسقلان، ويتأثر ابن أبي الشخباء بعقيدة الدولة الفاطمية المسيطرة على البلاد في ذلك العصر حيث يذكر (اللطائم) وهي من أفعال الشيعة؛ ففي العصر الفاطمي ظهرت العديد من الاحتفالات ذات

الجذور الشيعية أو الاحتفالات الخاصة ببعض المواسم الدينية كرمضان وعيدي الفطر والنحر[٥١]، والإشارة إلى اللطائم تدل على بعض الطقوس التي يقوم بها الشيعة في بعض احتفالاتهم كاحتفال عيد الغدير (غدير خُمّ) وكان في العهد الفاطمي مثله مثل (حزن عاشوراء) الذي يحيي ذكرى مقتل الحسين[٥٢].

فالمدح والبُعد الديني فيهما ما يضفي الصبغة الدينية على الحاكم والممدوح؛ فالبُعد الديني ذو مكانة عالية في الكشف عن مقام الحكام ورجال الدولة، ولذلك ترى الباحثة أن هنالك تداخلًا بين البُعدين السياسي والديني عند الحديث عن الحكام ورجال السياسة، فهم يستمدون شرعيتهم من دورهم الديني، وهذه القضية من أهم ما يدور حوله الشعر في بُعديه الديني والسياسي.

ويتحدث الشاعر المعتمد العسقلاني[٥٣] عن طاعة الكون لله فتعاقب الليل والنهار من المعجزات التي ألفها الإنسان، فالحق سبحانه لم يجعل أحدها غالبًا؛ لتستمر الحياة ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الاسراء:١٢]، وتأتي هذه الإشارات إلى التوالي الزمني بين الليل والنهار عند الشاعر في موضوع يتغول به بحسن وجوه جعلت من الليل نهارًا واضح الضحى[٥٤].

فَضَحُوْهَا بِحْسنهم فهيَ لوْلا
طَاعَةُ اللهِ لم تَعُدْ لِطُلُوْعِ
شَكَروْا الصُبْحَ والتّيقظَ فيهِ
وشَكَرْتُ الكَرَى وطيْب الهُجُوْعِ

فالشمس لولا أنها طائعة لأمر الله لاكتفت بوجوه ندماء المجلس واستغنت عن الظهور فهي لم تغب بوجودهم، وهذا معنى طريف في وصف جمال الوجوه ومحاسن الحضور في مجلس الشرب؛ فالبُعد الديني يتعدد في موضوعات مختلفة، ويدل على قدرة الشاعر في توظيف المعارف الدينية.

لقد أظهر الشعراء أن البُعد الديني يمثل قيمًا عظيمة منها العدل والعطاء، وقد استلهموا تلك الصفات في المدح، وغالبًا ما كان المدح متصلًا بالبُعد الديني

الذي يعبر فيه الشاعر عن البُعد السياسي؛ لتكون للممدوح مكانة دينية تعزز مكانته السياسية. وقد وردت الأماكن المقدسة والعبادات وهي من النماذج التي تبين تأثير لدين في الشعراء، ولاحظنا أيضًا وجود إشارات تتصل بالعهد الفاطمي في ذكر بعض الأفعال والأفكار التي تخص الشيعة.

كما يتجلى البُعد الديني عن القاضي الفاضل بن البيساني[٥٥] في شعر بعثه إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي[٥٦] ضمن رسالة كاتبه بها، وقد حرص القاضي الفاضل على إبراز الصفة الدينية في المقام الذي ينصر الدين، وتصلح به الأحوال، ويبدأ شعره بالدعاء له بالحفظ؛ لأنه يمثل الإسلام في عزة وعزيمة ينتصر بها للحق، ويبطل الباطل، حيث يقول[٥٧]:

لا زلتَ يا مَلكَ الإسلامِ في نِعَمٍ
قرينُها المُسعدانِ: النَّصر والظَّفرُ
تُرْدي الأعادي وتَسْتَصفي ممالكَهم
وعونُكَ المضيانِ: السيفُ والقدرُ
وسِرْتَ سِيرةَ عَدْلٍ في الأَنام كما
قضى به الصَّادقان: الشَّرْع والسُّوَر

تصل الرابطة الدينية الحاكم بالحكم، وتجعل منه رمزًا دينيًا يقدم بما يرفع من مكانته المتصلة بالدين، فيتحدث القاضي الفاضل عن الإسلام وما فيه من أحكام تجلت في الشرع والسور مصورًا الملك بأنه القائم على إرساء دعائم الدين، فوجوده جزء من حماية الإسلام والمسلمين؛ لأنه قادر على أن يرد الأعداء، وأن يحمي الإسلام وأهله من المعتدين.

وقد خاطبه القاضي الفاضل مادحًا بصفة القوة والعزيمة التي لا تلين في مواجهة الأحداث التي كانت شديدة وحاسمة في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي، وهذا يؤكد أنّ المديح عند الشاعر إنما هو نابع من الضمير الداخلي له عندما رأى

دور القائد في توجيه المسلمين نحو النصر والظفر، وإبعادهم عن الخذلان والذل الذي كان قد سيطر عليهم قبل ظهور بوادر النصر واسترداد المجد.

الموضوعات التي يؤثر فيها البُعد الديني فيستلهمه الشعراء في المدح والغزل، وهو يدل على أثر الدين في حياة الإنسان، فتتغذى به روحه كما تتغذى به لغته وأفكاره، والبُعد الديني يتصل بغيره من الأبعاد كالبعد السياسي الذي يكتسب من ورائه أصحاب السلطة صفة دينية شرعية، وكذلك البُعد الثقافي الذي يعبر عن ثقافة الشاعر الدينية ومدى تأثره فكرًا ولغة بالقيم الدينية في شعره.

المبحث الثالث: البُعد الثقافي والفكري:

تُعدّ اللغة انعكاسًا للثقافة والفكر الإنساني، فإذا أردت أن تعرف المستوى الثقافي والفكري لشخص ما فإنك تبحث عن ذلك المستوى في لغته وألفاظه التي يستخدمها، وأساليبه في التعبير عن حاجاته وأغراضه؛ فالشاعر تكشف لغته عن مستواه الفكري والثقافي فكلما كانت ثقافته واسعة ومداركه الفكرية متعددة استطاع أن يقدم شعرًا فيه بُعدٌ ثقافيٌ وفكريٌ في موضوعاته الشعرية من غزل ومدح ووصف إلى غير ذلك.

وقدرات الشاعر الثقافية والفكرية لها أهمية كبيرة في التعبير والتصوير الفني الذي يُعدّ عماد العملية الشعرية والجمالية فالفكر هو "الوعاء الذي يحوي التصوير والتخيل والذاكرة والذكاء"[٥٨]، والخيال يتطور ويزدهر مع تطور الثقافة والفكر، ويعتمد أيضًا على المخزون الثقافي السابق الذي تم توظيفه في التعبير والتصوير.

وفي ظل حديثنا عن الأدب والبحث عن البعد الثقافي والفكري فيه يتضح لنا دور الفكر والثقافة في صناعة الأدب عمومًا والشعر خصوصًا؛ فالأفكار في عمومها قضايا مطروحة أمام الناس، ويمكننا أن نشير إشارة سريعة إلى رأي الجاحظ في كون المعاني مطروحة يعرفها الناس على مختلف مستوياتهم[٥٩]. ولا تود الباحثة أن تبحث في قضية اللفظ والمعنى وإنما تود أن تبين أهمية الفكر والثقافة في

صناعة الأدب، فتناول الأديب أو الشاعر لموضوع أو قضية عامة بأسلوبه الخاص، يقلب النظر إليها وفق مستواه وقدرته على التأثير في الآخرين، بقالبه الفكري والثقافي الخاص الذي يعرض فيه الموضوع أو القضية[٦٠] في شعره.

وتمثل الثقافة مظهرًا من مظاهر الهوية وتتواشج الصلة بينها وبين الفكر في ظل معطيات المعرفة، ولذلك سنجد أن الشعراء يقدمون أفكارهم ويعكسون ثقافتهم عبر اللغة التي تبرز فيها مقومات تلك الثقافة والمعرفة، فالاستشهاد بالمعرفة وأدوات الثقافة، والعمل على ترتيب الأفكار وأسلوب عرضها في مختلف الموضوعات يبين أهمية البحث في البُعد الثقافي والفكري عند الشعراء.

وتظهر القدرة الفكرية والمخزون الثقافي في شعر ابن أبي الشخباء الذي يحمل في مديحه أبعادًا سياسية وفكرية وثقافية، يوظفها في تزيين صورة الممدوح في شعره، ويبين الأهمية التاريخية والسياسية عبر بحث مطول في تاريخ البشرية في اختيار الملوك؛ فالشاعر قبل أن يمدح يبين مدى اطلاعه على التاريخ، فاستقرّ عنده ناموس تاريخي وقانون إنساني في كيفية اختيار الملوك، عرف من خلال استقرائه وبحثه في التاريخ السابق[٦١].

مَا زَالَ يخْتارُ الزّمانُ مُلُوكهُ
حَتّى أصَابَ المُصطَفَى المُتَخيَّرَا
قُلْ للأُلى سَاسَوا الوَرَىَ وتَقَدّمُوا
قِدْمًا: هَلمّ فَشَاهِدُوا المتأخّرَا
تَجِدُوُهُ أوْسَعَ فِي السيّاسَةِ مِنْكُمُ
صَدرَا وأحْمَدَ فِي العَوَاقِبِ مَصْدرَا
إنْ كانَ رَأيٌ شَاوَرُوهُ أحنْفًا
أوْ كانَ بَأسٌ نَازلُوْهُ عَنْتَرَا
لَمْ يَرْضَ جُوْدُكَ أنْ يُصَادِفَ مُعسرًا
حتّى طَغَى فَأتَى الغَنِيّ المُوسِرَا

ولَقَدْ تَخَوّفَكَ العَدُوّ بِجُهدِه

لَوْ كانَ يَقْدِرُ أنْ يَرُدَّ مُقَّدرَا

يتحدث الشاعر عن حُسن السياسة الرشيدة في الحكم، ويظهر البُعد السياسي في هذه الأبيات وضوحًا تامًا، وموضوعها هو المديح، وقد ارتأت الباحثة أن تختار هذه الأبيات شاهدة على البعد الفكري والثقافي في شعر ابن أبي الشخباء، حيث يتبين هنا معرفته بسياسة الملوك ودورهم في رعاية الملك والرعية، وقد فهم قانون الزمان في اختيارهم مما يدل على ثقافته في التاريخ، واطلاعه على تاريخ الأمم السابقة.

ويستذكر في نصرته لسياسة الشخصية التي يمدحها مثالين أو نموذجين في سياسة الحكم، فيأتي بذكر الأحنف بن قيس[٦٢] صاحب الحكمة المشهورة والحلم المعروف والصحابي الجليل، وإلى جانب هذه الصفات النبيلة صفة عنترة[٦٣] الفارس الهمام الذي لا يشق له غبار.

فثقافة الشاعر اختارت هذين النموذجين؛ لتصف بهما القائد الحكيم، والفارس الشجاع، وفي ذلك وصف لقدرة الممدوح على الحكم كشف عنه فكر الشاعر المتقد الذي عاد إلى التاريخ فوجد أنّ الحقائق تشير إلى أهمية وجود الحاكم الذي يتصف بالحكمة والقوة؛ لأنّه بغير هاتين الصفتين لا يمكنه أن يقود الرعاية ولن يحسن سياستها، فاستعاد ذاكرة التاريخ بشخصين مشهورين بالحلم والقوة، وأظهر فكره المتقد وثقافته الواسعة أنّ الشخصية التي يمدحها تمتاز بهاتين الصفتين اللتين اجتمعتا في شخصية واحد فهي بذلك تستحق أن تكون في موضع القيادة والحكم.

ويعبر كذلك عن الشجاعة والإقدام ودورهما في اكتساب حياة كريمة بعيدة عن الذل والهوان، ويصف كيف أن موت الجبان يزيد في إقدام الشجاع على المصاعب دون خوف، فلا يقبل بالذل ولا يرضخ للظلم، وتجربة الشاعر في الحياة

هي التي أعطته القدرة على المقارنة بين موقف الجبان والشجاع من الحياة، وهو بذلك يعبر غن فكره وثقافته ويضمنها في شعره(٦٤).

إنَّ الشُجاعَ يَزيدُ فيْ

إقْدامهِ موْتُ الجَبَان

لا تُلق رَحْلكَ في فِنا

ءِ مذلةٍ فالعُمْرُ فانِ

ويُعدّ مفهوم الحكمة من أكثر الموضوعات التي تظهر تجربة الإنسان في الحياة، وهي أيضًا ثقافة إنسانية مكتسبة تبين قدرة الإنسان على فهم الحياة وتحليل الأحداث والمجريات التي يعيشها أو يسمع عنها أو يكتسبها من خلال ثقافته العامة، والشاعر في هذه الحكمة يستقري عددًا من الحوادث التي مرت في التاريخ وربما أيضًا المجريات التي شاهدها في حياته، فيستخلص أن الحياة لا يزيد في طول بقائها حرص الجبان، ولا ينهيها إقدام الشجاع.

والحكمة تدل على سعة التجربة وقوة الفكر وعمق الثقافة؛ لأنّها صورة عن العقل، وقد ذكر الجرجاني في التعريفات " كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو"(٦٥)، فقول الشاعر في البيتين السابقين نوع من الحكمة التي يدل عليها العقل وعبر عن ذلك بكلمات قليلة دون تكرار زائد؛ فاللغة أساس العقل والفكر، والمخبر عن الثقافة والتجربة الإنسانية.

ومن طرائف البُعد الفكري والثقافي ما وجدته في هجاء المكربل العسقلاني لرجل ملقب بالقزعج(٦٦) حيث يعبر عن أصل هذا الرجل بغير ما يظهر عليه؛ لأنّ حقيقته مخالفة لظاهره، كالذهب يلمع بريقه، ويضيء أمام العيون إلا أنّ لا قيمة له(٦٧).

رَأيتُ شَيْخًا وَهْوَ مُستسمَجُ

فَقلتُ: مَنْ ذَا؟ قِيلَ لِي: القَزعَجُ

فَقلتُ: مِمَنْ؟ قيْلَ: مِنْ أُسْرةِ

هُمْ ذَهَبٌ لَكِنّهُ بَهْرجُ

هنا قدرة الشاعر على اختطاف هذه العلاقة بين الذهب المزيف وانخداع الناس وتوظيفها في هجاء شخص ما، ووصفه بأنه يخدع الناس بأصله الذي ظاهره أنه يشبه الذهب وهو في حقيقة الأمر بهرج خداع، والباحثة ترى أنّ المكربل العسقلاني شديد الإيذاء في هجائه، فهو يسخر معرفته وتجربته في الحياة ليكون هجاءه لاذعًا، وهذا نوع من الثقافة والقدرة على استخراج المشترك بين الطباع السيئة والأوصاف التي يستخرجها مما يشاهده ويراه؛ ليكون شعره أبلغ في الموضوع الذي يقصده.

وفي النقد الحديث ظهر مفهوم التناص وما يدل به على علاقة النصوص ببعضها، ويرى بعض النقاد المغربيين أنّ الخطابات الأدبية يكرر بعضها الآخر(٦٨)، أو أنّه " التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى"(٦٩)، ويذكر العماد الأصفهاني في الخريدة أن ابن أبي الشخباء قد أغار على ما قاله ابن السراج، وهذا كما قلت يدل على ثقافة التأثر بالآخرين وثقافة ابن أبي الشخباء وذلك في قوله(٧٠):

يَجُودُ بالمَاءِ غَيْثُ السُّحبِ مُنْقطِعًا
وَغَيْثُ كَفّكَ بالأمْوَالِ يَتّصلُ
جَارَى ندَاك فَلَمْ يَظْفَرْ ببُغيتِه
فَحُمرَةُ البرقِ في حَافَاتِهِ خَجَلُ

وينطبق هذا المعنى على قول ابن السراج(٧١):

يُقَصِّرُ الغَيْثُ عَنْ إدْرَاك شأْوَهِمُ
وَحُمرَةُ البَرقِ في خَدّيهِ كَالخَجَلِ

وكرر هذا المعنى وزاد فيه زيادة حسنة فقال:

قَطَعتْ مكارمهُ رويَته
فتراهُ طولَ الدهرِ يرتجلُ

بَارَتْ يداهُ السَحبَ فارْتجعتْ

عَنْهَا وَوابِلُ ودَقِها وشَلُ

والرَّعدُ في أحشائهِ قَلِقٌ

والبَرْقُ في حَافَاتهِ خَجِلُ

ولأنّ العماد الأصفهاني يتحدث عن تحسين ابن أبي الشخباء للمعنى وقدرته على الزيادة فيه، فإنني أذكر رأي الآمدي الذي لا يعد أخذ المتأخرين "من المتقدمين من كبير مساوئ الشعراء وخاصة المتأخرين إذا كان هذا بابًا ما تعدى منه متقدم ولا متأخر.

وتظهر ثقافة ابن بلبل العسقلاني في غزله إذ يصف محبوبًا له أزرق العينين بصفات يستمدها من الطبيعة التي يرى فيها الذبول، فيصف به جمال ذبول العيون، ويقابل بين السيف القاطع في الحرب ونظرة العينين الزرقاوين، فلها نفس صفة القتل(٧٢).

قدّك كالذابلِ حسنًا وفي

طرفك ما في طَرَفِ الذابل

أرزقٌ كالأزرقِ يومَ الوغى

كلاهما يُوصَفُ بالقاتلِ

تُعبر هذه الصورة عن بُعد فكري امتاز به الشاعر في الربط بين معاني الجمال التي يراها في ذي العينين الزرقاوين وعناصر الطبيعة التي يستشعر جمالها ومحاسنها، وفي إشارة بعيدة عن الطبيعة يذهب إلى ما تدل عليه الحرب من القتل والهلاك الذي يراه في نظرة المحبوب، فالشاعر متحير بين الوصف بجمال الطبيعة والوصف بالقتل والهلاك كأنه في صراع مع محبوبه يأمل منه ما في الطبيعة من حسن وجمال، ويخشى على نفسه القتل والهلاك من حسنه وجماله، ويعبر ذلك عن بُعد فكري رقيق في الوصف والتصوير.

إنّ البعد الثقافي والفكري عند شعراء عسقلان برز كما هو عند غيرهم من الشعراء، حيث تبين أن الفكر والثقافة يدخلان في كل المواضيع الشعرية والقضايا التي يعبر عنها الشعراء، فهما يدلان على قدرة الشاعر في وصف ما يحيطه من ظواهر مختلفة وقضايا متنوعة، والفكر والثقافة يعبران عن نفسية الشاعر التي قد تمر بمراحل مختلفة؛ لأنّ اللغة هي الوعاء الذي تصب فيه المشاعر الإنسانية حول ما يتعرض له الإنسان في ظروف متعددة.

وظهرت ثقافة الشعراء وقدراتهم الفكرية في السياسة كموضوع اهتموا به في صبغ القادة والحكام بالشرعية المستمدة من الدين والتاريخ والفكر؛ ليدلوا على مكانة القائد ومنزلته في تكوين الدولة والأمن والاستقرار، وكذلك في غزلهم وحكمتهم وهجائهم؛ لأنّ الفكر وليد الثقافة، واللغة أداة التعبير التي تكشف عن البُعد الفكري والثقافي والمخزون الذي استطاع الشاعر أن يحصله من تجربته في الحياة ومكتسباته المعرفية والعلمية.

لقد فصلّت دراسة الأبعاد الموضوعية عند شعراء عسقلان طريقة انتقاء الشعراء لموضوعاتهم، فقد تبين لنا في البُعد السياسي استخدام الشاعر لأسلوب المدح في وصف سياسة القادة وإبراز مكانتهم في الدولة، وتناول الشعراء بعض الموضوعات الدينية التي كان لها دور مهم في إعطاء رجال الدولة والسياسة شرعية، وفي مقابل ذلك حاولت أن أبين أن الهجاء مثل صورة المعارضة لرجال الدولة والسياسة وعدم الموافقة على بعض الأحداث.

وتميز البُعد الديني بالتأثر بالقيم الدينية خاصة العدل الذي يتصل بالبُعد السياسي الذي يعطي الحكام ورجال الدولة قيمة دينية وسياسية، كما أنّ الشعراء ذكروا الأماكن المقدسة وتأثروا بالقرآن الكريم. والبُعد الديني لم يقتصر على أمثلة دينية وعبادات خاصة كالصوم وقيام الليل وقراءة القرآن الذي كان ذُكر في أشعارهم وإنما تنوعت تأثيراته في نفوس الشعراء.

وأخيرًا تميز البُعد الفكري والثقافي في وصف الموضوعات من مدح وهجاء ووصف؛ لأنّها كلها تعبر عن ثقافة الشاعر وقدرته على توصيف تجاربه وخبراته ومعارفه، وكذلك فإنّ اللغة وعاء الفكر الإنساني وناطقة بما يفكر فيه، وقد ظهرت تجارب الشعراء وخبراتهم في ثقافتهم العربية والفكرية، وتُعدّ أشعارهم وثيقة على البُعد الفكري والثقافي الذي تميزوا به عن غيرهم من الشعراء.

الخاتمة:

كونت هذه الدراسة نظرة شاملة للجانب الموضوعي في شعر الشعراء العسقلانيين الذين أظهروا رؤيتهم السياسية والدينية والفكرية في موضوعاتهم الشعرية، وقد اتسمت أشعارهم بالتوجيه الموضوعي للمعنى الشعري الذي شغل مجموعة من الأبعاد تتصل بالسياسة والدين والثقافة، وليس غريبًا أن نرى هذا التنوع والتقاطع للموضوعات الشعرية في هذه المرحلة الزمنية التي عاصرت أحداث مهمة من التاريخ الإسلامي.

وظهرت الموضوعات الشعرية كسمات تدل على تنوع مصادر رؤية الشاعر، وبرز في هذا الإطار المعرفي علاقة المدح بالجانب السياسي الذي برز فيه توجه الشاعر نحو عناصر الشجاعة والكرم والإقدام والسماحة في تكوين شخصية الممدوح مع ربطها بالجانب الديني الذي يعطي شرعية لشخصية القائد الذي تحتمي به الرعية ويذود عن حمى وطنه وأهله.

ومن أبرز نتائج الدراسة:

- اتضاح العلاقة بين الموضوعات الشعرية والأبعاد السياسية والدينية والفكرية، حيث إن الطابع السياسي اتصل بالمدح كما أن الجانب الديني أظهر علاقة الشعر بالفكر الديني والثقافة الدينية، فيما عبر البعد الفكري والثقافي عن المخزون الحضاري لشعراء عسقلان.

-قدم شعراء عسقلان نموذجًا لدمج الموضوعات الشعرية برؤية الشاعر وتصوراته للمواقف والقضايا المتعددة.

-كشف الجانب الموضوعي الصلة الوثيقة بين الفكر والمعنى الشعري، وقد بحثت الدراسة في هذا الجانب وأظهرت عمق التكوين الموضوعي في الكشف عن الأفكار والاتجاهات التي انتهجها شعراء عسقلان.

وتوصي الدراسة بزيادة الاهتمام بالموضوعات الشعريّة كعامل أساسي في قراءة الشعر، وعدم الوقوف عند الجانب التقليدي؛ لأن له دورًا هامًا في توجيه القراءة والتحليل الشعري.

المراجع والمصادر:

-الأصفهاني، العماد، **خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء الشام**، تحقيق: د. شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، سوريا، ج١، ١٩٥٥م.

-الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، تحقيق: عبد الرحيم صالح، وعبد الحليم الهروط. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، المجلد (٥)، العدد (٤)، ٢٠٠٩م.

-ابن بسام، أبو الحسن علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ج٨، ط١، ١٩٧٩م.

-ابن بطوطة، محمد بن عبدالله، **رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.

-تودوروف، تزفتان وآخرون، في أصول الخطاب النقدي الجديد: مفهوم التناص في الخطاب النقدي، ترجمة أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٩م.

-الجاحظ، عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١- ١٩٠٥م.

-الجبوري، يحيى، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٨م.

-الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

-ابن الجزري، شمس الدين، **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

-الحكيم، توفيق، **فن الأدب**، دار مصر للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط١، د.ت

-حماد، أحمد عبدالرحمن، **العلاقة بين اللغة والفكر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٨٥م.

-الحموي، أبو عبدالله محمد بن عبد الله، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٠م.

-الحموي، ياقوت شهاب الدين، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ج٣، ١٩٩٣م

-الحموي، ياقوت شهاب الدين، **معجم البلدان**، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٥م.

-ابن حوقل، أبو القاسم محمد، **صورة الأرض**، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٣٨م.

-ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

-الذهبي، شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج١٧، ١٩٨٥م.

-رومية، وهب، **بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي: قصيدة المدح نموذجًا**، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٧م.

-الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

-الزوزني، حسين أبو عبدالله، **شرح المعلقات السبعة للزوزني**، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

-السقاف، علوي بن عبد القادر وآخرون، **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام**، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت، ط١، د. ت.

-سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر الفاطمي: الشعر والشعراء**، دار المعارف بالإسكندرية، ط١، د.ت.

-سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر الفاطمي: الكتابة والكتاب**، دار المعارف بالإسكندرية، ط١، د.ت.

-سيد، أيمن فؤاد، **الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

-ابن شداد، لهاء الدين، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي للطباعة، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٤م.

-الصفدي، صلاح الدين خليل، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ج١٢، ٢٠٠٠م.

-أبو صوة، محمود، **دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط**، منشورات إليجا، مالطة، ط١، ٢٠٠٠م.

-العبادي، أحمد مختار، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، د.ت.

-عباسة، محمد، **نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوروبية**، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد (١٠)، ٢٠٠٤م.

-عبد الرحيم، صالح والهروط، عبد الحليم، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، العدد (٤)، ٢٠٠٩م.

-العزيزي، الحسن بن أحمد، **المسالك والممالك**، جمعه وعلق عبيه ووضع حواشيه تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٦م.

-القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، ط١، ج١، ١٩١٧م.

-كريستيفا، جوليا، **علم النص**، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٧م.

-محاسنة، محمد حسين، **تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي**، دار الأوائل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠١م، ص ٨٤.

-المغربي، ابن سعيد، **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٧٠م.

-ابن الميسر، يوسف بن جلب، **المنتقى من أخبار مصر**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨١م.

-ياغي، مصطفى غزوان، **الدولة الفاطمية الدعوة والتأسيس**، د. ن، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م.

الهوامش:

(١) أبو صوة، محمود، **دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط**، منشورات إليجا، مالطة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٧.

(٢) المرجع السابق، ص٧.

(٣) العزيزي، الحسن بن أحمد، **المسالك والممالك**، جمعه وعلق عبيه ووضع حواشيه تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١٠٠.

(٤) ابن حوقل، أبو القاسم محمد، **صورة الأرض**، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٣٨م، ج١، ص١٨٦.

(٥) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله، **رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت، ج١، ص٤٤.

(٦)انظر: الحموي، ياقوت شهاب الدين، **معجم البلدان**، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٥م، ج٤، ص١٢١-١٢٢.

(٧) ابن الجزري، شمس الدين، **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٦٧.

(٨) الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج١، ص١٧٨.

(٩) سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر الفاطمي: الكتابة والكتاب**، دار المعارف بالإسكندرية، ط١، د.ت، ص ٣١.

(١٠)سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر الفاطمي: الشعر والشعراء**، دار المعارف بالإسكندرية، ط١، د.ت، ص ٩.

(١١) عبد الرحيم، صالح والهروط، عبد الحليم، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، العدد (٤)، ٢٠٠٩م، ص ١٢٨.

(١٢) المرجع السابق، ص١٣٨-١٣٩.

(١٣) العبادي، أحمد مختار، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، د.ت، ص٢٤٧.

(١٤) محاسنة، محمد حسين، **تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي**، دار الأوائل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠١م، ص ٨٤.

(١٥) انظر: سيد، أيمن فؤاد، **الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٥٠-١٥١.

(١٦)الشيخ المجيد أبو علي الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني صاحب الخطب المشهور والرسائل المحبرة؛ كان من فرسان النثر، وله فيه اليد الطولى. ويقال :إن القاضي الفاضل، رحمه الله تعالى، كان جل اعتماده على حفظ كلامه وإنه كان يستحضر أكثره. وذكره عماد الدين الأصبهاني في "الخريدة" فقال: "المجيد مجيد كنعته، قادر على ابتداع الكلام ونحته، له "

الخطب البديعة والملح الصنيعة "، وذكره ابن بسام في الذخيرة وسرد له جملة من الرسائل (ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ج٢، ص٨٩. وانظر: ابن بسام، أبو الحسن علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ج٨، ط١، ١٩٧٩م، ص ٦٢٧. وانظر: الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، تحقيق: عبد الرحيم صالح، وعبد الحليم الهروط. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، المجلد (٥)، العدد (٤)، ٢٠٠٩م، ص ١٢٧).

(١٧)العبادي، أحمد مختار، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، مرجع سابق، ص٢٦٠.

(١٨) الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، مرجع سابق، ص١٠١١.

(١٩) السقاف، علوي بن عبد القادر وآخرون، **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام**، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت، ط١، د. ت، ج٩، ص ٦٠.

(٢٠) المرجع السابق، ج٩، ص٦٠.

(٢١) ياغي، مصطفى غزوان، **الدولة الفاطمية الدعوة والتأسيس**، د. ن، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م، ص٧.

(٢٢) الوزير الأديب البليغ، أبو القاسم، الحسين بن الوزير علي بن الحسين بن محمد ، المصري، المعروف بابن المغربي (انظر: الذهبي، شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج١٧، ١٩٨٥م، ص ٣٩٤).

(٢٣)الحموي، ياقوت شهاب الدين، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ج٣، ١٩٩٣م، ص١٠٠٨.

(٢٤) من الكتاب الشعراء، والبلغاء الرؤساء، إلا أنه مُقل مع الإجادة والإحسان، إنما يصنع ما صنعه تأدبًا لا تكسبًا. وكان في عهد المستنصر (انظر: الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص ١٤٠.

(٢٥) يورد المحققان للخريدة أن هنالك صفحة مفقودة، وبالتالي فقد تكون ترجمة جمال الملك بن عمار مفقودة ضمن هذه الصفحة (انظر: المرجع السابق، ص ١٤١. الهامش رقم ٦).

(٢٦) المرجع السابق، ص١٤١.

(٢٧) من شعراء عسقلان. بلغ من العمر مائة، ولم يُسمع له في المديح إلا النزر اليسير، ولا قَبِل من أحد مبرة، ولا امتد أمله إلى رغبة، توفي بمرض عضال في مصر (أنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ج١٢، ٢٠٠٠م، ص٢٠).

(٢٨) الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٢٩) المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٣٠) المرجع السابق، ص ١٥١-١٥٤.

(٣١) أبو الحسن بن أبي أسامة الحلبي (ت: ٥٢٢هـ)، كاتب الإنشاء للآمر بأحكام الله، والحافظ لدين الله (انظر: القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، ط١، ج١، ١٩١٧م، ص٩٦).

(٣٢) أبو الفتح منصور بن إبراهيم بن قتادة الأنصاري المصري الفقيه المعدّل (انظر: المغربي، ابن سعيد، **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٧٠م، ص ٣١٦.

(٣٣) يوسف بن جلب المعروف بابن الميسر المؤرخ المشهور، سمع من شيوخ زمانه وروى عنهم (ت: ٥٣١هـ) (انظر: ابن الميسر، يوسف بن جلب، **المنتقى من أخبار مصر**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨١م، ص ث)

(٣٤) الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص ١٥١

(٣٥) المرجع السابق، ص١٤٠.

(٣٦) المرجع السابق، ص١٤٠-١٤١.

(٣٧) المرجع السابق، ص١٢٩.

(٣٨) رومية، وهب، **بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي: قصيدة المدح نموذجًا**، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٨٧.

(٣٩) الجبوري، يحيى، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٨م، ص٣٥٧.

(٤٠) انظر: عباسة، محمد، **نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوروبية**، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد (١٠)، ٢٠٠٤م، ص ٧-١٢.

(٤١)الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص ١٢٨-١٢٩.

(٤٢)خيف منى: الخيف اسم يقع مضافًا إلى مواقع كثيرة، ولا يكون خيفًا إلا بين جبلين، وقيل الخيف ارتفاع وهبوط في سفح جبل، وأشهرها خيف منى (انظر: الحموي، أبو عبدالله محمد بن عبد الله، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٠م، ص ٢٢٥).

(٤٣)وقد سُبق ابن أبي الشخباء إلى توظيف مشعر منى في الغزل بالأبيات التي يرويها الشريف المرتضى في أماليه وقد نسبها إلى عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى(٤٣)، حيث يقول:

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجةٍومَسَّحَ بِالأَرْكانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وشُدَّت على حُدْبِ المَهَارِى رحَالُنَاولم يَنْظُر الغَادِي الذي هُوَ رَائحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَاوسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ

وقد ذكر ابن قتيبة الدينوري هذه الأبيات غير منسوبة في الشعر والشعراء مثالًا على الشعر الذي : حسن لفظه وحلا فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى"(٤٣)، وهذه شغلت النقاد مختلفين في نسبتها ودارسين لما فيها حسب نظرتهم إلى الأدب(٤٣)، وما تريد الباحثة أن تصل إليه هو أنّ البعد الديني قد يُستغل عند الشعراء في موضوعات مختلفة كالغزل والمدح والرثاء وغير ذلك، وأيضًا أن ابن أبي الشخباء قد سار على نهج غيره من الشعراء بالتأثر بالأماكن الدينية، وتوظيفها في شعره.

(٤٤) كنيته أبو الحسين؛ وهو أستاذ كبير الشأن في علم العربية والنحو، وأخذ النحو عن علي بن عيسى بن فرج صاحب أبي علي الفارسي وتصدر للإقراء بعسقلان، فاستفاد منه الطلبة ونبغ له عدة أصحاب (انظر: الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، مرجع سابق، ج٤، ص ١٧٣٤.

(٤٥)الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، مرجع سابق، ج٤، ص ١٧٣٥.

(٤٦)الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٤٧)الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٠٠٩-١٠١٠.

(٤٨)المرجع السابق، ج٣، ص ١٠٠١.

(٤٩)المرجع السابق، ج٣، ص ١٠٠٨.

(٥٠)الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٠١٢.

(٥١) انظر: سيد، أيمن فؤاد، **الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد**، مرجع سابق، ص ٤٣٣-٤٤٥.

(٥٢) المرجع سابق، ص ٤٦٠-٤٦١.

(٥٣) ترجم له العماد في الخريدة، وقيل أنه ولي قضاء الأردن (انظر: الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص ١٣٩).

(٥٤)الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٥٥) أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف علي بن القاضي السعيد محمد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل والملقب بمجير الدين، ولد بعسقلان سنة ٥٢٩هـ، وانتقل إلى الإسكندرية ثم القاهرة، توفي سنة ٥٩٦هـ (أنظر: الأصفهاني، العماد، خريدة

القصر وجريدة العصر: قسم شعراء الشام، تحقيق: د. شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، سوريا، ج١، ١٩٥٥م، ص ٥٣٧).

(٥٦) يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان، الملك الناصر صلاح الدين بن الملك العزيز بن الملك الظاهر، كان يكنى أبا المظفر، ولد في قلعة تكريت عام (٥٣٢هـ)، وكان واحدًا من أعظم ملوك الإسلام، ومن أهم الشخصيات التاريخية التي أنجبتها الأمة الإسلامية (انظر: ابن شداد، لهاء الدين، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي للطباعة، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٤م، ص٢).

(٥٧)أنظر: الأصفهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء الشام، تحقيق: د. شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، سوريا، ج١، ١٩٥٥م، ص ٥٤٤-٥٤٥).

(٥٨) حماد، أحمد عبدالرحمن، **العلاقة بين اللغة والفكر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٨٥م، ص١٧.

(٥٩) انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١. ١٩٠٥م، ص٤٤.

(٦٠) انظر: الحكيم، توفيق، **فن الأدب**، دار مصر للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط١، د.ت، ص ١١-١٢.

(٦١)الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص١٣٢.

(٦٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصين التميمي (ت: ٦٨٧هـ)، الأمير الكبير، العالم النبيل، أحد من يُضرب بحلمه وسؤدده المثل، وشُهر بالأحنف، لحنف رجليه، وهو العوج والميل. كان سيد تميم، اسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ووفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو من رواة الحديث (انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧.

(٦٣)عنترة بن شداد بن معاوية بن ذهل بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس، ولد بحدود سنة (٥٣٠م)، وكان من كبار فرسان العرب، ويضرب المثل في قوته وشجاعته، توفي سنة (٦٠٨م). (انظر: الزوزني، حسين أبو عبدالله، **شرح المعلقات السبعة للزوزني**، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢٣٧-٢٣٨).

(٦٤)الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٦٥)الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م، ص ٨١.

(٦٦)الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص١٥٤.

(٦٧)المرجع السابق، ص١٥٤.

(٦٨) انظر: كريستيفا، جوليا، **علم النص**، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٧م، ص٧٨-٧٩.

(٦٩) تودوروف، تزفتان وآخرون، في أصول الخطاب النقدي الجديد: مفهوم التناص في الخطاب النقدي، ترجمة أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٩م، ص ١٠٣.

(٧٠)الأصفهاني، عماد الدين محمد، **خريدة القصر وجريدة العصر (باب شعراء عسقلان)**، مرجع سابق، ص١٣٦.

(٧١)المرجع سابق، ص١٣٦.

(٧٢)الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، مرجع سابق، ج٤، ص ١٧٣٤.